

أ.د : نورية الرومي

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة الكويت- مارس ٢٠١٨

الحب في شعر سعاد الصباح

شغلت الشاعرة (سعاد الصباح) مساحات واسعة بإبداعاتها الشعرية والنثرية في كتابات الباحثين والدارسين على امتداد الوطن العربي ، مثل ديوانها (ومضات باكرة) و(لحظات من عمري) اللذان أصدرتهما في الكويت عام ١٩٦١ بداياتها الشعرية ، إلى آخر ديوان لها بعنوان : (الشعر والنثر . . لك وحدك) ، صدر عن دار (سعاد الصباح) للنشر والتوزيع عام ٢٠١٦ . ولم يتوقف بعده عطاء الشاعرة ، كما لم تجف أقلام النقاد عن متابعة نتاجاتها الشعرية والنثرية.

تقف هذه الورقة عند ظاهرة من ظواهر شعرها العديدة ، هي ظاهرة الحب ودلالاته ، لارتكاز هذا الشعر على التيار الوجداني الرومانسي ، الذي شكل فن استحوذ على مساحة كبيرة في دواوينها ، فمثل فضاءها الشعري ، وكونها الممتد فيه ، (فقد ساد الحب أكثر من ثلثي الإنتاج كله ، وعلى وجه الدقة مما يعادل ثلاثة وسبعين في المائة وهي نسبة عالية).

وفي هذا الحب تصادفنا مجموعة من الظواهر ، نتخير منها : الأنا والآخر .

وظاهرة التقابل ، وجدلية الزمان والمكان .

ولا تقف القصائد فحسب ، بل تتجاوزها إلى العشق وأتونه لتضييق به وتراه قدرا كما

أسمت القصيدة به :

وتضيفين: دعي العشق فذو العشق سجين
إنه نار.. وفي أتونها.. تحترقين
ليتنى ، يا أخت صدقتك فيما تدعين
وقلت الشوق في روعي وأزهقت الحنين
وطعنت الشك في قلبي بسكين اليقين
ورفضت القدر المكتوب لي عبر السنين
غير أنا لا نرى ما خطه فوق الجبين

وتخلط الشاعرة تجسيد مشاعرها بوصف ظواهر الطبيعة في هذا الحب بأسلوب
رومانسي فالروض عاطر السوسن ، وزاهي الياسمين ، وربيعها ، وبدر ليلها في دياجيه
في قصيدتها (حب من السماء) :

أخت روعي ، عن هواه المفتدى لا تسأليني
هو حب ماله في أي قلب من قرين
ما رواه الدهر في ماضي ولا آتي السنين
هو لحن شاعري الجرس خفاق الرنين
هو نور يسكب الفرحة في قلب الحزين
هو روض عاطر السوسن زاهي الياسمين..
هو نيسان لعمري وربيع يزدهيني
هو بدر في دجى ليلى وتاج في جبيني

وتخاطب حبيبها أو كما تسميه مولاها بجو نفسي ، تثبت فيه ارتياحها ، شارحة
في خطابها شوق لباب روحها ، وقلبها المذاب ، وتتبعه ببيان فرحتها بمفردات تدل على
انحنائها في الحب إلى مولاها ، ثم تقلب الشاعرة الجو النفسي المبهج إلى جو آخر
يسوده الحزن والاكتئاب ، عندما تستحضر الذكريات وما عانتها من ألم في غيابه عنها
في رسم صورتين متقابلتين ، الأولى صورة قاتمة لغيابه عنها ، تقابلها صورة الفرحة
بلقائه ، ويقطع هذا التقابل النفسي في التصوير ، جو نفسي ثالث هو حالة انتظار جوابه
ومعاناة خوفها واكتئابها :

مولاي قلبي في إنتظار الجواب
حتى تفى الأقدار لي بالمآب

وتسخر الشاعرة الطبيعة لجوها النفسي فتجعلها عنصراً جديداً في المعاناة ،
فدنياها يغلفها الضباب ، والقمر عابس رهن اضطراب ، والسواد يلف الهضاب ، والخوف
يطرق الأبواب

أواه لو تدرك هذا العذاب
وما أعاني من أسى واكتئاب
وأن روعي في جوى واغتراب
وأن ملء الكأس مرًا وصاب
وحول دنياي يغيم الضباب
والقمر العابس رهن اضطراب

يرسى سواد النور فوق الهضاب
ويرسم الخوف على كل باب

وتظل قلقة في معاناتها النفسية في عدم اطمئنانها من بقاء مولاها قريبا ،
واستمرار الوصل بينهما ، في إستباق للأحداث ، عندما يترأى لها شبح المستقبل المخيف
الذي قد يفجعها ، ويفجع حلم شبابها وآمالها :

وكل ما أخشاه بعد الإياب
والشوق عات والهوى في التهاب
أن تفجع القلب بحلم الشباب
ولا أرى حبك إلا سراب
وأن أمالي الخوالي كذاب ..

وواضح أنها قد نسجت قصة حبها ، كما دونت فصول حياتها شعراً بأسلوب
قصصي ، وهذا ما يتواءم مع أسلوب سردها ، ويؤكد ذلك كثرة الحوار في شعرها بمشاهد
كثرت فيها التشويهاات والصور الشعرية :

يقول لي: أنت من الضياء أصفى جوهر
وأنت أنقى من ملائك السماء عنصرا
فقيم هذه الدموع تستحيل أنهرًا؟
وأنت أحلى ما جلا الله لنا وصورا
فلتطرحي من قلبك العناء والتطيرا
وتنظري لليأس نظرة النجوم للثرى
وتطلقني في شعرك السلام والتحررا
وتزرعي في ضفتيه الأمل المنورا
وتجعلني الفرحة في رياه تجري كوثر
وتنشري لحن الهوى على السفوح والذرى

ولا تكتفي الشاعرة بتسمية الحبيب بمولاها . كما مر بنا في قصائد سابقة ، فإنها
تطلق عليه صفة أخرى هي صفة (الأمير) في قصيدتها (وحدوي) بقولها :

يا أميري، أنت يا من كنت للروح شقيق
أنت يا كنزي من الرحمة والحب الرقيق
قم تأمل وحدتي اليوم، وقل كيف أطيق
أنت.. حتى أنت.. لم تعطف على قلبي الغريق
أنت.. حتى أنت.. قد خلفتني دون رفيق
وجعلت العالم الواسع كالقبر يضيق

وتسبغ الشاعرة على حبيبها مجموعة من الألقاب والصفات فهو (سيدها) ، و (أميرها) ،
و (مولاها) ، و (ملك الملوك) ، و (آخر السيوف) وغيرها من الألقاب الكثيرة .

ومن أجل هذا العشق ألفت الشاعرة جدوى معاجم اللغات ، لأنها قصرت عن أن تذكر
اسما جديدا وغريبا ومثيرا في وصف حبيبها ، أو أن تأتي بكلمة تصف وتليق بحبها
الجنوني له ، فلم تجد غير كلمة (حبيبي) فوقفت عندها :

وأن جميع المعاجم من دون جدوى

فهل تتذكر اسما .. جديدا .. غريبا .. مثيرا ..

يليق بحبي الجنوني

غير "حبيبي"؟؟

ورغم ذلك ظلت الشاعرة في مناجاتها للحبيب تفتح له نهراً من الحب يجري

لا تسأل ما هي أخباري ..

لا شيء مهما .. إلا أنت ..

فإنك أحلى أخباري

لا شيء مهما .. إلا أنت ..

وكل العالم بعدك ذرات غبار ..

واختصرت المعاني بمناجاته

أيها رجلاً .. يتجول بين خلاياي

مثل القضاء .. ومثل القدر ..

ولأن الشاعرة تنتهج الاتجاه الرومانسي جاء شعرها بلغة الرومانسيين وصورهم
وعالمهم المثالي ، مستمدة لغتها من معجمهم لترسم مدارات عشقها ، في عالم مثالي
مبني على العاطفة والخيال ولهذا جاءت صورة الحب مشحونة به ، ليتحول إلى حب
خيالي قد لا نجد له مثيلاً على أرض الواقع .